المواقف التربوية للحياة الزوجية من سيرة السيدة أم سلمة رضي اللّه عنها *

د. صفية عبد اللّه احمد بخيت**

*تاريخ التسليم: 2016/11/2م، تاريخ القبول: 2017/2/11م.
** أستاذ مشارك/ جامعة أم القرى/ المملكة العربية السعودية.

ملخص:

الزواج وإن كان ظاهرهُ قضية شخصية، لكنه في نتاجه قضية اجتماعية كبرى، مساحتها العالم الذي يعيش فيه الإنسان، فالأسرة أو المجموعة التي يكوّنها الزوجان، هي حجر الزاوية في بناء المجتمع أو اللبنة الأساسية التي يتوقف عليها صلاح هذا البناء، وعليه فمسؤولية الزوجين المترتبة على حياتهما الزوجية في واقعها، مرتبطة بتأدية الحقوق على أكمل وجه؛ ليكتب لهما النجاح والاستمرار.

ومن هذا المنطلق نجد مواقف عديدة لأم سلمة رضي الله عنها تؤكد عنايتها واهتمامها بحقوق الزوجية وحرصها على تطبيقها في حياتها لضمان استقرار الأسرة ، ومن هنا تظهر أهمية هذا الموضوع وعلاقته الوثيقة بنظام الإسلام الاجتماعي في قضية جليلة لها دور كبير في صلاح المجتمع، وهي مسؤولية الزوجة المسلمة عن بيتها الذي أمرت بالقرار فيه ، والذي هو محل الراحة والسكن للزوج، وفيه يجتمع أفراد الأسرة من الزوجين والأولاد ، ويقوم كل فرد بواجباته، وحقوق أهله، والذي يُعد من جانب آخر المدرسة التأسيسية الأولى لتربية الأولاد وتنشئتهم، فكانت الحاجة ماسة إلى إبراز هدي الإسلام في واجب الزوجة، ومسؤوليتها الأسرية في رعاية بيت الزوجية وحفظه .

وقد استخدم المنهج التاريخي ذلك المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفاً كيفياً، وتطبيقها في الواقع المعاصر. المنهج الاستنباطي عملية استدلالية تنتقل من العام الى الخاص.

وقد أمكن في هذه الدراسة طرح بعض المواقف التربوية من حياة أم سلمة رضي الله عنها في طاعة الزوج، والاعتراف بفضله بعد موته، وصبرها وتحملها لزوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وخدمتها وتربية أبنائها، وحصافة فكرها ورجاحة عقلها مع زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومكانتها عند ضرائرها في استشارتهن وعرض حاجاتهن عليها لأخذ المشورة منها، فكانت مثالا عملياً تطبيقاً يقتدي به نساء المؤمنين.

الكلمات المفتاحية: المواقف التربوية، الحياة الزوجية، سيرة السيدة أم سلمة رضي الله عنها.

Educational Instances from the Married life of Umm Salama (RA)

Abstract:

Although marriage seems like a personal issue, it is a major social issue, and the space of which is the world that a person lives in. The family or group that the couple form are the cornerstone for building the society or the basis upon which the righteousness of the society is built. Thus, the responsibility of married couples is connected to the full realization of rights; to have a successful and sustainable marriage.

From this point, we find many instances for Umm Salama (RA) highlighting her directed attention and interest towards marital rights and their fulfillment in her life to ensure stability of her family. At this point, the importance of this subject appears and its relation with the social system of Islam regarding an important issue which affects the righteousness of the society, which is the responsibility of the Muslim wife in her home, in which she was ordered to stay. This home is the comfort and the dwelling of her husband, and it's the place where the family of the couple and the children meet. Each individual fulfills his duties and the rights of his family. From a different point of view, the house is considered the first school for upbringing and raising the children, so there was an urgent need for the Islam to highlight the duty of the wife and her responsibility in the family, which is to care for the household and maintain it.

The historic approach has been used because it is concerned with description of events qualitatively and their applications in contemporary reality. Deductive method is an evidentiary process which moves from the general to the specific.

In this study some educational instances from the married life of Umm Salama (RA) were discussed, mentioning her husband obedience and acknowledgment of his efforts for the family after his death, also having patience when dealing with him. Moreover, the study shows how Umm Salama (RA) served and raised her children, and had wisdom when she dealt with her husband the Prophet (SAS), in addition to demonstrating her special position among the other husband's wives, who consulted her in different affairs. We can say that Umm Salama (RA) was a practical applicable example, which Muslim women must follow.

***Keywords**: educational instances, married life, Umm Salama, biography*

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد أولى الإسلام عنايةً كبيرةً بالأسرة التي تُعد اللبنة الأولى في بناء المجتمع؛ ولهذا اهتم بالزواج الذي هو أصل الأسرة، وعمادها الثابت، فبين المسؤوليات الأسرية وواجبات كل من الزوجين في توزيع عادل يتفق مع الفطرة، ويتناسب مع التكوين النفسي والجسدي لكل من الرجل والمرأة، ويتحقق من خلاله مصالح الأمة وسعادتها.

فجعل الإسلام عمل الرجل وواجبه الأساسي الانتشار في

الأرض للكسب ، وطلب المعيشة خارج البيت، وواجب المرأة الأساسي القيام بأمور البيت ورعايته ، والسياسة لشؤونه الداخلية ، وهذه مهمة عظيمة، ورسالة نبيلة لا تقل في الشأن والأهمية عن عمل الرجال ، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة الأمهات في الحرمة والاحترام والتعظيم والتقدير[1] قال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**﴾(الأحزاب: 6)

ولقد كانت كل زوجة من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم مثالاً للزوجة الصالحة المطيعة، ونموذجاً للمرأة التي تعين زوجها على نوائب الدهر، لا تبخل عليه بكل ما تملك من عطاء مادي ومعنوي، حتى استحقت كل واحدة منهن أن تُكنّى بأم المؤمنين، ماعد مارية القبطية فتكنى بأم إبراهيم [2].

وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تعد خير مثال لبنات وأمهات وزوجات اليوم للاحتذاء والاقتداء بها، وذلك من خلال، طاعتها لزوجها أبي سلمة رضي الله عنها ووفائها له، ومن ثم خدمتها لزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، و تربيتها لأولادها التربية الأخلاقية الإسلامية الصحيحة، بالإضافة إلى علمها الغزير، ورصانة ورجاحة عقلها، وحكمتها الواضحة.[3]

إن الأسرة المسلمة المعاصرة في أمسّ الحاجة، لقدوة تقتدي بها، في سلوكياتها وأخلاقياتها وتعاملاتها، في جميع شؤون الحياة، هذا وإن خير قدوة لكل مسلم ومسلمة الاقتداء بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، والبحث في السيرة النبوية والاستنارة بما فيها من مبادئ وقيم وأساليب ومضامين وشمائل وتوجيهات تربوية ليسعد ويفلح المسلم في الدنيا والآخرة.

وفي هذا البحث جرى اختيار أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لدراسة سيرتها العطرة ومن ثَمّ مواقفها التربوية. فالبحث في سيرة أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها التي تُمثل خير قدوة تقتدي بها النساء والزوجات المسلمات، فقد كانت رضي الله عنها خير زوجة، وأفضل أم صالحة تملك العقل الراجح، والشخصية القوية، وكانت قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها، وكانت شخصيتها تتسم بحسن الأخلاق والأدب والاحترام مع الجميع.[4]

وأم سلمة رضي الله عنها اجتمعت فيها مناقب وفضائل كثيرة ميزتها على غيرها من النساء، ومن ذلك، طاعتها وحبها لزوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وخدمتها ومكانتها عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسن رأيها، ورجاحة عقلها، وذكاؤها وسرعة بديهتها، وسرعة حفظها، وورعها، وحرصها على التفقه في الدين، وعزيمتها القوية، وتواضعها.

مشكلة البحث:

تتمثل في البحث عن ابرز المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها، وهذا السؤال الرئيسي ويتفرع منه الاسئلة التالية .

أسئلة البحث:

- ما المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها مع زوجها أبي سلمة رضي الله عنهما؟
- ما المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها مع زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم؟
- ما المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها مع قريناتها؟

أهداف البحث:

1. معرفة المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها مع زوجها أبو سلمة رضي الله عنهما.
2. إبراز المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها مع زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم.
3. توضيح المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي الله عنها مع قريناتها.

أهمية البحث:

1. يستمد هذا الموضوع أهميته من كونه أحد المواضيع التي حظيت بعناية الباحثين في مجال الأسرة، وخصوص المرأة المسلمة التي تواجه مشكلات وهجمات غربية.
2. إن الاسرة بحاجة الى رؤية كلية متكاملة في قراءة ومعالجة واقع الاسرة المسلمة ومستقبلها مستقاة من سيرة امهات المؤمنين، لتصدي على الهجمات الشرسة التي تواجه المرأة المسلمة ولا يكون ذلك الا بالاستناد الى سيرة امهات المؤمنين وهذه الدراسة قد تسهم في ذلك.
3. يستفيد من هذه الدراسة المهتمين بالأسرة بصفة عامة وبالمرأة بصفة خاصة كونها تعالج موضوع أسري يتعلق بالمنهج الاسلامي في استنباط المواقف التربوية من سيرة أم سلمة رضي الله عنها.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي ويُعرَّف بأن «المقصود بالمنهج التاريخي، هو (عبارة عن إعادة الماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة)[5]. (قامت الباحثة بدراسة أبرز المواقف التربوية لأم سلمة رضي الله عنها، معتمد على دراسة المنهج التاريخي، في معرفة سيرة المرأة المسلمة ومواقفها التاريخية المشرفة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بالواقع المعاصر

وهو أيضاً (ذلك البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس علمية منهجية دقيقة؛ بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل) .[6]

ولقد جاءت التعاليم القرآنية والتوجيهات النبوية، والمواقف

التربوية السليمة، بما يكفل المحافظة على كيان الأسرة المسلمة، ويزيد متانة روابطها وتماسك علاقة أفرادها، لتبقى العلاقة الزوجية سامية وسالمة، من الأمراض المعنوية، والمشكلات الأخلاقية، والأحداث المؤلمة المبكية.

الدراسات السابقة:

دراسة **الحربي (2011م)**[7] هدفت الى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالعلاقات الزوجية من كتاب النكاح من صحيح الإمام البخاري في الجانب الأخلاقي والاجتماعي والنفسي ، وما يخص آداب المعاشرة الزوجية مع بيان التطبيقات التربوية للمضامين المستفادة في المدرسة والمجتمع والـأسرة والإعلام . واستخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي الاستنباطي للمضامين التربوية. ومن نتائج الدراسة أن أحاديث كتاب النكاح من صحيح البخاري تضمنت كثيراً من المضامين التربوية التي تسهم في تكوين العلاقات الزوجية السعيدة.

دراسة **الأنصاري (2007م)**[8] هدفت الدراسة إلى معرفة توصيف بعض شمائل الأنثى التربوية وتوضيحها في شخصية أم المؤمنين عائشة رضي **الله** عنها ، واستخدمت هذه الصفات والشمائل في التطبيق على النساء في الوقت الحاضر ، وذلك بهدف التغيير في شخصية المرأة المسلمة المعاصرة ، وتوجيهها إلى القدوة الحسنة. واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي والوصفي والاستنباطي. ومن نتائج الدراسة أن شمائل المرأة المسلمة المعاصرة التي اقتدت فيها بأم المؤمنين عائشة رضي **الله** عنها دائما هي عدد (28) من الشمائل التربوية ، من واقع (55) من الشمائل التربوية التي تضمنتها عبارات أداة الدراسة ، وذلك حسب استجابة العينة ب دائما على عدد (28) عبارة فقط من عبارات الشمائل في سلوك المرأة المعاصرة المستمدة من شخصية أم المؤمنين عائشة رضي **الله** عنها.

دراسة **يماني (2008م)**[9] هدفت الدراسة إلى الاستنارة بما في سيرة أم المؤمنين خديجة رضي **الله** عنها من مواقف وسلوكيات يجب أن يقتدى بها ، وإبراز مضامين تربوية مستنبطة من سيرتها ، وبيان دور الأسرة والمدرسة في تطبيق هذه المضامين . وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي والاستنباطي. وجاءت النتائج كتالي :- الصفات الإيجابية في الزوجة وأثره في تعزيز استقرار الأسرة . واستقرار الأسرة وأثره في تبليغ دعوة **الله** عز وجل وأثره في تنشئة الأجيال.

تمهيد:

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد **الله** بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية. زوج النبي صلى **الله** عليه وسلم، وإحدى أمهات المؤمنين[10] وبنت عم خالد بن الوليد، سيف **الله**، وبنت عم أبي جهل بن هشام، من المهاجرات الأول، كانت قبل زواجها بالنبي صلى **الله** عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً. واشتهرت أم المؤمنين بأم سلمة، فعرفت بكنيتها، حيث كانت أُمًّا لابنها الأكبر سلمة، ولم تعرف باسمها (هند)[11] .

وأبوها أبو أمية؛ وهو سهيل بن المغيرة بن عبد **الله** بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب[12]. وقد لقب في الجاهلية بزاد الركب لجوده وكرمه. فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد، بل يكفي مرافقيه كلهم من الزاد والطعام طوال الرحلة[13]

أما أولاد أم سلمة رضي **الله** عنها فهم جميعاً من زوجها أبي سلمة، وقد ولدتهم جميعاً في الحبشة، وفي روايات أخرى أن سلمة وحده الذي وُلِدَ في الحبشة، بينما وُلِدَ الباقون في المدينة. وكان سلمة أكبر من أخيه عمر، ولم يكن مشهوراً بالرواية العلمية[14]

أما ابنتها زينب، وقد ولدت في الحبشة، وكان اسمها (برّة)، فقالت: إن رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم نهى عن هذا الاسم، سميت برّة، فقال النبي **الله** صلى **الله** عليه وسلم: (لا تزكوا أنفسكم، **الله** أعلم بأهل البر منكم) فقال: ما نسميها؟ قال: (سموها زينب)[15] وقد تزوجت عبد **الله** بن زمعة بن الأسود الأسدي، فولدت له، وتعلمت فكانت أفقه نساء أهل زمانها. ودخلت زينب على النبي صلى **الله** عليه وسلم مرّة وهو يغتسل، فنضح الماء في وجهها، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت[16]

توفيت أم سلمة رضي **الله** عنها في أول خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين، وقيل: سنة تسع وخمسين، في شهر رمضان أو شوال، وصلّى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد.

وعن محارب بن دثار: أنها لما توفيت أوصت أن يصلي عليها أبو هريرة، ودخل قبرها عمر وسلمة ابنا أبي سلمة، وعبد **الله** بن أبي أمية، وعبد **الله** بن وهب بن زمعة، ودفنت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة[17]

◄ **للإجابة عن التساؤل الفرعي الاول والذي ينص على (ما المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة مع زوجها ابي سلمة رضي الله عنهما).**

- **أولاً:** طاعة **الله** ومرضاته لأم سلمة رضي **الله** عنها لزوجها أبي سلمة رضي **الله** عنه ، فمن حين بزغ نور الدعوة الإسلامية ضربت أم سلمة رضي **الله** عنها، أعظم مثال لطاعة الزوج فحين دعا محمد صلى **الله** عليه وسلم أول دعوة للإسلام ، كان عبدالله بن عبد الأسد (أبو سلمة رضي **الله** عنه) من أوائل الملبيين لدعوة محمد صلى **الله** عليه وسلم، فأسلم وأسلمت زوجته هند بنت زاد الركب (أم سلمة رضي **الله** عنها) بعد إسلامه[18]

فبين الحديث أنه أسلم وأسلمت وهذا دليل على طاعتها له والطاعة ناموس إلهي، فطرت عليه الخلائق كلها، من حيوان، ونبات، وجماد في السماء والأرض، فلم يبق ذرة في الأرض إلا وقد أذعنت لربها وخضعت، بحيث تسير وفق إرادة إلهية كونية لا تتخلف عنها أبدا.

وقاسى المسلمون الأولون من اضطهاد قريش الشيء الكثير، فأوذوا في سبيل دينهم وعذبوا من أجل عقيدتهم، وحاول المشركون بشتّى السبل أن يفتنوهم في دينهم، وأن يردوهم عن الإسلام، حينئذ أذن النبي صلى **الله** عليه وسلم للمسلمين في الهجرة، وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأنها أرض صدق، ولأن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، فهاجر نفرٌ كثير من المسلمين، كان فيهم عبد **الله** بن عبد الأسد، وزوجته هند بنت زاد الركب (ام سلمة رضي **الله** عنها) [19] فكانت أم سلمة رضي **الله** عنها رفيقة زوجها أبي سلمة رضي **الله**

عنه فهجرتها معه طاعة له ، ووفاء له .

ومرت الأيام على أم سلمة رضي الله عنهما وزوجها، وهما والمهاجرون عند نجاشي الحبشة في خير جوار، حتى جاءت إليهم الأخبار تقص عليهم نبأ عزة الإسلام بدخول نفر كثير من أبناء قريش فيه، حينئذ رأى أكثر المهاجرين –وقد عزّ الإسلام، وبات المسلمون لا يخشون اضطهاد قريش لهم – أن يعودوا إلى موطنهم مكة. وتشاور العائدون فيما يفعلون، فقرر بعضهم أن يرجعوا من حيث جاؤوا، وقرر البعض الآخر أن يدخل مكة ويلاقي فيها ما يلاقي المسلمون...وكان فيمن قرر دخول مكة أبو سلمة وزوجته أم سلمة رضي الله عنهما.[20]

فها هي أم سلمة رضي الله عنها جادت بنفسها في سبيل إيمانها وإسلامها وطاعتها لزوجها، فآمنت مع زوجها وهاجرت مع زوجها، ثم عادت مرة أخرى إلى مكة وكل هذا وهي، برفقة زوجها متحملة صابرة محتسبة الأجر والثواب من الله تعالى.

و طاعة أولي الأمر – كما يقول ابن الأزرق –: (أصل عظيم من أصول الواجبات الدينية حتى أدرجها الأئمة في جملة العقائد الإيمانية)[21]. فالكون كله خاضع ومستسلم له سبحانه وتعالى، وهو بهذا المعنى طائع لله سبحانه. غير أن الثقلين منحهما الخالق تعالى إرادة وقوة بهما يستطيعان التصرف والاختيار للخير، أو الشر، وبسبب ذلك تمرد أكثر الثقلين، عن التزام الطاعة المطلقة القائمة على الاختيار، ولكنهم لا يدركون أنهم، بالرغم من هذا التمرد يتحركون وفق إرادة كونية محيطة ضمن ملك الله وملكوته، ومن هنا شرعت طاعة الوالدين، وطاعة الزوجة لزوجها، وطاعة الرقيق لسيده[22]. قَال تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ (النساء : 59) ، وعَن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (**دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ: إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**)[23]. وطاعة الزوجة لزوجها ومتابعته لها أساس، وأساس هذا الحق هو القوامة التي تستلزم الطاعة.[24] وفي تفسير قوله تعالى(فالصالحات قانتات) يقول الرازي: (واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها)[25] .

فمن الواجب على المرأة أن تطيع زوجها طاعة مطلقة في غير معصية الله، إذ أنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزّ وجلّ، وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: (**إنّما الطاعة في المعروف**)[26]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**السّمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**)،[27]. والطاعة تكون سواء في منزلها أو في أسلوب حياتها، أو في فراشها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**)[28] وقال الألباني رحمه الله معلقا على هذا الحديث : (فإذا وجب على المرأة أن تطيع زوجها في قضاء شهوته منها ، فبالأولى أن يجب عليها طاعته فيما هو أهم من ذلك مما فيه تربية أولادهما، وصلاح أسرتهما ، ونحو ذلك من الحقوق والواجبات)[29]

لأن وجوب الطاعة من تمام التعاون بين الزوجين، فلا تستقيم حياة أي المجتمع إلا إذا كان لها رئيس يدير شؤونها ويحافظ على كيانها، ولا تفلح هذه الرئاسة إلا إذا كان الرئيس مطاعاً، لأن في عدم طاعته مفسدة عظيمة تلحق الأسرة، وتجعل حياتها يهدد كيان المجتمع.

لذلك كان من الضروري وجود رئيس مسؤول عن الأسرة؛ يرعاها ويتحمل مسؤوليتها، ولو حملناها المرأة لظلمناها، ولو جعلناها مشتركة لما استقامت أحوال الأسرة، لأن كلاً منهما يريد أن يستأثر برأيه، قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ (النساء:26) وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم النساء على طاعة أزواجهن، لما في ذلك من المصلحة والخير، حيث جعل صلى الله عليه وسلم رضا الزوج على زوجته سبباً لدخولها الجنة، فقال:(**أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة**)[30] وهذا كله خير، ومقصودة الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله وفي نفسها وفي حال غيبة الزوج[31]. وقد أعدَّ الله تعالى لها الجنة إذا أحسنت إليه، فقال صلى الله عليه وسلم: (**إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**)[32] قال صلى الله عليه وسلم (**لوكنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**)[33] ، فقد دل الحديث على عظم حق الزوج ولزوم طاعته

● **ثانياً**: وفاء أم سلمة رضي الله عنها لزوجها أبي سلمة رضي الله عنه ، فعن أم سلمة رضي الله عنه ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُنيَّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنة أو قريباً منها، حتى مر بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله، قالت: فقلت: أتبلّغُ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبُنيّ هذا. قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحّى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام

إلى بعيري فقدّمه فرحّله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة بها نازلاً – فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة. قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن أبي طلحة[34].

وصف أم سلمة رضي الله عنها من حين خروجها من مكة إلى المدينة مع عثمان بن أبي طلحة كان وصفاً ينم على عفتها وطهرها، ووفاءها لزوجها، وهذا من حسن المعاشرة للزوج وطلب رضاه، ومن ثم صدق قولها (وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن أبي طلحة)

فإن الوفاء صفة أساسية في بناء الأسرة المسلم، وقاعدة تقوم عليها حياة الفرد وبناء الجماعة، قال تعالى الله ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ (النحل:91)

والوفاء يختصُّ بالإنسان، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان، وصيره قوامًا لأمور الناس، فالمؤمنون مأمورون بالتعاون ولا يتمُّ تعاونهم، إلا بمراعاة العهد والوفاء، ولولا ذلك لتنافرت القلوب، وارتفع التعايش، ولذلك عظَّم الله تعالى أمره[35] فقال تعالى ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (البقرة:40)، وقال تعالى ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ**﴾ (النحل: 91)

ولقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهد والالتزام به واحترام المواثيق، ونص دستور حياتهم على ذلك ، ويرتفع الإسلام بالوفاء بالعهد؛ فيجعله من خلال البر، ويمدح المتصفين بهذه الخلال بأنهم هم الصادقون وهم المتقون، يقول تعالى: ﴿**وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...**﴾، إلى أن قال: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (البقرة: 177)، ثم يجعل الوفاء من الصفات التي تؤهل المتصف بها إلى الفوز بالفردوس والخلود في النعيم المقيم، يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ۞وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ۞الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (المؤمنون: 8 – 11)، ولقد كان الوفاء ديدن المسلمين السابقين، يحدِّث بذلك تاريخهم الحافل ، ويشهد به ماضيهم المشرق، و إن في التاريخ الإسلامي وقائع لا تحصى من وفاء المسلمين بعهودهم، وهي صفحات مجد وفخار تشهد بحرصهم على الوفاء ، امتثالاً لأمر ربهم واتباعًا لسنة نبيهم ، واقتداءً بصاحب الخلق العظيم صلوات الله وسلامه عليه صفحات تشهد للمسلمين بأنهم هم أول من وضع هذه القاعدة الأخلاقية الرفيعة موضع التطبيق؛ لقد علمهم دينهم أن الوفاء بالعهد شهامة وقوة، وعدالة وفضيلة.

● **ثالثاً**: وفاء أبي سلمة رضي الله عنه مع زوجه أم سلمة رضي الله عنها ، قال أبو سلمة: أتطيعينني؟ قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك، قال: فإن مت فتزوجي بعدي . قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يُحزنها ولا يؤذيها[36]. وفي هذا الحديث يتجدد الوفاء في أعلى صوره من الزوج إلى زوجته المطيعة الصابرة الوفية.

ويتبين من هذا الموقف أيضا الزوج الكريم المحب لزوجته مدى حبه لزوجته وأولاده، فهم بحاجة لمن يرعاهم ويكتنفهم بالحب والاهتمام، لذلك دعا لزوجته أن يرزقها الله زوجاً خيراً منه يرعاها ويسعدها، وقد كان له ما دعاه وتمناه ذلك الزوج العظيم المحب لزوجته، أن رزقها الله بخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عاشت معه أم سلمة رضي الله عنه، مع أبنائها عيشة هنية كريمة وحظيت بأن تكون من أمهات المؤمنين.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها- إلا أخلف الله له خيراً منها**). قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. [37]

الزوج الصالح يرى أن سعادته تتحقَّق في هناءة زوجته في دنياه، وبعد مماته، فإن كان هناؤها يتحقَّق بالزواج برجل صالح بعده فذلك غايته، وهذا ما كان يأمله أبو سلمة رضي الله عنه ، أنّ تحيا من بعده حياةً طيبةً كريمة، ويُلحق بهذا الوفاء للزوج بالثناء عليه والدعاء له ، وعدم نسيان جميل عشرته ولا إنكار معروفه بعد مفارقته بطلاق أو موت ، يدل على هذا قصة أم زرع التي دفعها الوفاء لزوجها الأول أن تذكر إحسانه ، وأن تمدح أمه وأولاده وخادمته حتى بعد طلاقه لها، وتزوجه بأخرى و زواجها برجل آخر سخي من أكابر الناس قد وسع عليها وأعطاها كثيراً ، ومع ذلك تقول: (فلو جمعتُ كل شيء أعطانيه، ما بلغ أصغر آنية أبي زرع) [38].

● **رابعا**: لكل محنة منحة ومنها الاعتراف بالفضل بين الزوجين، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها- إلا أخلف الله له خيراً منها**). قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة

من صفات الزوجة الصالحة الراعية لحقوق زوجها وبيته: إظهار الرضا والشكر للزوج، والاعتراف بمنزلته وفضله وإحسانه، لو بعد موته أو طلاقها.

من هنا كان الاعتراف بالفضل، لذلك الآية الأساسية في هذا الموضوع قوله تعالى ﴿**وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ (البقرة ،237) إن الاعتراف بالجميل من المروءة والنبل، و نكران الجميل من الجحود واللؤم، وقد حذر الإسلام من الجحود ورهب منه؛ فقال عز وجل: ﴿**هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾(الرحمن،60)، وقال صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[39] و أن لا ينسوا، في غمرة التأثر بهذا الفراق والانفصال ـ ما بينهم من سابق العشرة، والمودة والرحمة، والمعاملة. وجاء في الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه)[40]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وأُريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرهن . قيل: يكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ،

لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط)[41]

● **ثانياً**: المواقف التربوية المستنبطة من حياة أم سلمة رضي **الله** عنها مع زوجها الرسول صلى **الله** عليه وسلم .

● **أولا**: قيمة المرأة الصالحة في سعادة بيتها ومنه توضيح بعض الأمور قبل الزواج بين الزوجين من أسس السعادة الزوجية وهذه إحدى الأمور التي لا تجد عند كثير من الأزواج عناية مع أن دوام العشرة، وهناءة العيش لا تحصل على أتم وجوهها إلا عندما يعرف كل منهما حاجات صاحبه ومزاجه، وما يرضيه ويسخطه، وما يقبله، ويرفضه، وهذه الأمور قد يدركها الزوجان بالسؤال .

تقول أم سلمة: أرسل لي رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعه يخطبني له فقلت: مرحباً برسول **الله** وبرسوله، أخبر رسول **الله** أني فيّ خلال، لا ينبغي لي أن أتزوج رسول **الله**، وهي: أني امرأة مُصْبِيَةٌ – أي ذات أولاد صبية –، وأني غَيْرَى، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً. فبعث إليها رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم أما قولك: إني مُصْبِيَةٌ فإن **الله** سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غَيْرَى، فسأدعو **الله** أن يُذْهِب عنك غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني.[42]

وهذا يظهر جليا في قصة شُريح القاضي، لما تزوج بامرأة من بني تميم، فيقول: لما دخلت عليها قمت أتوضأ، فتوضأت معي، وصليت فصلت معي، فلما انتهيت من الصلاة دعوت بأن تكون ناصية مباركة، وأن يعطيني **الله** من خيرها، ويكفيني شرّها، قال: فحَمِدَت **الله**، وأثنت، ثم قالت: إنني امرأة غريبة عليك فماذا يعجبك فآتيه، وماذا تكره فأجتنبه، قال: فقلت: إني أحب كذا، وأكره كذا، فقالت: هل تحب أن يزورك أهلي. فقلت: إنني رجل قاض، وأخاف أن أملَّهم، فقالت: من تحب أن يزورك من جيرانك، فأخبرتّها بذلك.

قال شريح: فجلست مع هذه المرأة في أرغد عيش وأهنئه حتى حال الحول، إذ دخلت البيت فإذا بعجوز تأمر وتنهى، فسألتُ: من هذه؟ فقالت: إنها أمي. فسألته الأم: كيف أنت وزوجتك؟ فقال لها: خير زوجة، فقالت: ما حوت البيوت شرّاً من المدللة، فإذا رابك منها ريب فعليك بالسوط.

قال شريح: فكانت تأتينا مرة كل سنة، تنصح ابنتها، وتوصيها، ومكثتُ مع زوجتي عشرين عاماً، لم أغضب منها إلا مرة واحدة، وكنت لها ظالماً[43].

لذا فمعرفة أو توضيح كل من الزوجين لحالة صاحبه قبل الزواج قضية لها أثرها في الحياة الزوجية واستقرارها، وتجاهل هذا الأمر قد ينتج عنه بعض الخلافات والنزاعات.

ولا سيما أن كلا الزوجين لهما توجهاتهما ورغباتهما المختلفة لأن كلاً منهما يأتي إلى الحياة الزوجية من بيئة مختلفة فحينما توضح بعض الأمور وتكشف بعض الحقائق، أمام بعضهما البعض يتفهم الزوجان الأمر ويظهر كل طرف منهما رغبة في تحمل الآخر، وتستمر الحياة بذلك.

ثانيا : من صفات المرأة الصالحة خدمتها لزوجها، أصبحت أم سلمة رضي **الله** عنها زوجاً لرسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ودخلت بيتها الجديد، الذي كان بيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة التي توفيت في أول العام الرابع للهجرة، وفي أول يوم لزواج أم سلمة أخذت تفحص حجرتها لتعرف ما بها قالت: فإذا جرّة فاطلعت فيها فإذا فيها شيء من شعير، وإذا برحى، وبرمة، وقدر، فنظرت فإذا فيها كعب – قطعة من سمن أو دهن – من إهالة، فأخذت ذلك الشعير وطحنته ثم عصدته في البرمة، وأخذت الكعب من الإهالة فأدمت به، فكان ذلك طعام رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ، وطعام أهله ليلة عرسه.[44]

فما كان من أم سلمة رضي **الله** عنها حين دخلت على سيد المرسلين صلى **الله** عليه وسلم أول العشاء عروساً، وقامت آخر الليل تطحن[45]، وزوجة أبي أسيد الساعدي رضي **الله** عنها قامت بخدمة زوجها من أول ليلة وهي عروس، فقد (دعا أبو أسيد الساعدي رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم في عرسه، وكانت امرأته يومئذٍ خادمهم وهي العروس . قال سهل رضي **الله** عنه : تدرون ما سقت رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ؟ أنقعت له تمرات من الليل، فلما أكل سقته إياه)[46]، و في قصة خدمة فاطمة وأسماء وامرأة جابر لأزواجهن رضي **الله** عنهم أجمعين ، فالنبي صلى **الله** عليه وسلم أقرهم على ذلك، وأقر سائر أصحابه على استخدام أزواجهم مع علمه بأنها السيدة والشريفة في قومها ولكن لم يمنعهن ذلك من خدمة الزوج [47].

فـ (المرأة راعية في بيت زوجها بحسن تدبيرها في المعيشة والنصح له، والشفقة عليه، والأمانة في ماله، وحفظ عياله وأضيافه ونفسها)[48].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فيجب على المرأة خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال)[49].

ومما يدل عليه ما في الصحيحين من حديث عبد **الله** بن عمر أنه قال سمعت رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم يقول: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)[50]

وقد مدح **الله** سبحانه الزوجات الحافظات لأزواجهن حال غيبته بالقيام بحقه في نفسها وماله[51]، فقال تعالى: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّـهُ**﴾

وأن أمهات المؤمنين والصحابيات رضي **الله** عنهن كن يَخدمن في بيوتهن ، فعائشة رضي **الله** عنها كانت تغسل المني من ثوب النبي صلى **الله** عليه وسلم[52]، وكانت ميمونة رضي **الله** عنها تضع للنبي صلى **الله** عليه وسلم ماء الغسل[53]، وعائشة رضي **الله** عنها كانت تطيب رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم[54].

ومما يعبر عنها اهتمام الفرد و ميله إلى غيره من الناس فهو يحبهم و يميل الى مساعدتهم، والعملية التربوية تقوم على مبدأ الرعاية والرغبة في الإصلاح، لا الوصاية والتسلط والإرغام ولا يتحقق التأديب إلا بالتدريب، ولا ننال المقصود إلا ببذل المجهود[55]. ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بالعطف و الحنان و خدمة الغير وخدمة الزوج من الأمور الاجتماعية المهمة في الأسرة التي تقوم على تحمل المسؤولية.

● **ثالثاً**: مسؤولية المرأة في رعاية بيتها وزوجها إن من رعاية الزوجة لبيت الزوجية قيامها برعاية الأبناء ، وحسن تربيتهم ، والسعي في تحصيل كل ما يُصلحهم وينفعهم ويجلب لهم الفوز والسعادة ، ودفع كل ما يُفسدهم ويضرهم ويعود عليهم بالخسارة

والشقاء عاجلاً وآجلاً ، وحين نقول التربية فإنا نعني التربية بمعناها الواسع الذي لا يقف عند حد العقوبة أو الأمر والنهي، كما يتبادر لذهن طائفة من الناس، بل هي معنى أوسع من ذلك.

إذا كان الأمر كذلك فإن دور الزوجة (الأم) ورسالتها التربوية تأتي في المقام الأول، وخاصة في مرحلة الطفولة التي هي أهم مراحل العمر ، وأكثرها خطورة ؛ لأنها أساسٌ لمراحل حياته التالية ، حيث يكون الطفل مرتبطاً بأمه لا ينفك عنها، وبالتالي يكون تأثيرها عليه أكبر ، وتعلقه بها أكثر من الزوج (الأب)، الذي يقضي غالب وقت النهار في طلب المعاش خارج البيت ، فيقع على الزوجة العبء الأكبر في التربية ؛ لأنها المحضن الرئيس للأجيال لانفرادها بالحمل والوضع والرضاعة ، وقيامها بالحضانة غالباً، والحضانة ولاية تعتمد الشفقة والتربية والملاطفة ، والأم أقرب إلى الطفل وأشفق عليه ، وأعرف بالتربية ، وأقدر عليها وأصبر، وأفرغ لها[56]؛ ولهذا أثبت الإسلام حق حضانة الزوجة لأطفالها وإن طلقها الزوج. وعلى هذا فإن للزوجة شأناً عظيماً، وأثراً بالغاً في حياة الأولاد، فإنها المدرسة الأولى للأولاد، وقيامها بهذا الدور يتوقف عليه صلاح المجتمع بإذن الله تعالى، وقد أحسن الشاعر حين قال:

الأمُ مدرسةٌ إذا أعددتها
أعددت شعباً طيِّب الأعراق[57].

هذا ولقد كانت السيدة أم سلمة رضي الله عنها أماً بارة بصغارها لم تفرط فيهم، بل رعتهم حق رعاية في البيت النبوي حتى يكونوا في ميزان حسناتها. فعنها رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسولَ الله! هل لي أجرٌ في بني أبي سلمة؟ أُنفقُ عليهم، ولستُ بتاركتهم هكذا وهكذا، إنما هم بنيَّ، فقال: (نعم، لك فيهم أجرٌ ما أنفقتِ عليهم)[58].

وكذلك حينما خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم قالت له (**إني مُصْبِيَةٌ فقال لها أما قولك فإني مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك**)[59] أي لدي صبيان يحتاجون الى رعاية واهتمام فلم ينسها فرحها بالاقتران بالرسول صلى الله عليه وسلم أفضل البشرية ، عن أبنائها الصغار ورعايتهم والاهتمام بهم.

وبذلك يظهر عظم مسؤولية الزوجة في رعاية أولادها وتربيتهم ، وقوة تأثيرها فيهم، عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة ، فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها، فقال: (من ابُتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار)[60]، وفي الحديث الآخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم (**أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال جلست على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا**)[61].

فكانت رعاية الرسول الله صلى الله عليه وسلم للأرامل والأيتام في المجتمع المسلم ظاهرة، فيعتبر نفسه صلى الله عليه وسلم أباً للأيتام بعد أبيهم، يحفظهم ويرعى شؤونهم، ويعلمهم ويربيهم؛ ويظهر لنا من رعايته وتأديبه صلى الله عليه وسلم لأحد أبنائها – عمر– أن قال يوما : كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يا غلام سم الله، وكل بيمينك ، وكل مما يليك**)، فما زالت تلك طعمتي بعد[62]

● **ثالثاً**: الشورى ورجاحة العقل لأم سلمة رضي الله عنها ، فالأصل في الحياة الزوجية التحاور والتشاور والتشارك، لطفاً ولیناً ومودة ورحمة ، وهي من مبادئ الإسلام السمحة في نظام الحكم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم شاور المؤمنين ليطيب بذلك قلوبهم وليشجعهم على المضي في نشر الدين والدعوة إلى الله تعالى. والشورى تبعث في الناس حب التعاون مع المسئولين وتشجعهم على تحمل مسئولياتهم أمام مجتمعهم. ولا يُستشار إلا من عُرف بالأمانة والإخلاص والعلم[63]

فحينا خرج النبي صلى الله عليه وسلم لأداء العمرة، وخرجت معه زوجته أم سلمة رضي الله عنه ، وبعض نساء الصحابة مثل أم عمارة، وأم منيع، وأم عامر الأشهلية وغيرهن من نساء الأنصار. ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ملبياً، ولكن قريشاً منعت دخول المسلمين إلى مكة لحج بيت الله في عامهم هذا.

فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع سهيل بن عمرو أحد رسل قريش عهداً سمي: صلح الحديبية، تهادن فيه الطرفان على عدم القتال لمدة عشر سنوات، وتعهد فيه محمد صلى الله عليه وسلم لقريش أن يعود هو وأتباعه من حيث أتوا، على أن يعودوا لحج بيت الله في مثل هذا الوقت من العام القادم. ولم يرضَ أكثر المسلمين عن هذا العهد الذي عدوه انخذالاً لهم، ولم يتبينوا في ذلك الحين حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم التي ينشدها من ورائه[64]

قال الزُّهْرِيُّ: فلما فَرَغَ من قضية الكتاب، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (**قوموا فانحَرُوا ثم احْلِقُوا**). قال: فو الله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاثَ مرات، فلما لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخَلَ على أمِّ سَلَمَةَ، فذَكَرَ ما لَقِيَ من الناس، فقالت أمُّ سَلَمَةَ: يا نبيَّ الله، أَتُحِبُّ ذلك، اخرُجْ لا تُكَلِّمْ أحدًا منهم كلمةً، حتى تَنْحَرَ بُدْنَك، وتَدْعُوَ حالقَك فيَحْلِقَك. فخَرَجَ فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعَلَ ذلك، نحَرَ بُدْنَه، ودعا حالقَه فحَلَقَه، فلما رأَوْا ذلك قاموا فنَحَرُوا وجعَلَ بعضُهم يَحْلِقُ بعضًا، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضهم غمًّا[65].

وهكذا أنقذت مشورة أم سلمة رضي الله عنها المسلمين من فتنة كادت أن تستشري بينهم بسبب عهد الحديبية الذي اعتبر بعد ذلك فتحاً عظيماً للمسلمين. ونجا الصحابة من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بحكمة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها[66]

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران:159). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المُستشارُ مُؤتمنٌ) [67]

ومما يضمن التعايش والتفاهم بين الزوجين ويوثق الروابط بينهما التشاور، وذلك لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾(الشورى :38) وقد وضح الله تعالى أمر الشورى بين الزوجين في هذه الآية: ﴿**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (البقرة:233) فإنه تعالى ندب إلى التشاور بين الزوجين في رضاعة المولود وفطامه،

ولو بعد الانفصال لما فيه مصلحة المولود، وإذا كان هذا هو حق الزوجة فأولى أن يكون هذا حقها في جميع الشؤون الزوجية والحياتية.

وأما ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (شاوروهن وخالفوهن)، لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن هذا القول ينقص من حق النساء. ففي كثير من الأحيان يصاب الرجل بالهم أو تنزل به مصيبة فيلجأ بعد الله إلى زوجته طالبا المشورة. و كذلك حال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غار حراء – بعد أن جاءه الملك – ترجف بوادره حتى دخل على زوجه خديجة يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَقَالَ: (**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ**)[68].

أيستصغر الإنسان استشارة المرأة؟ وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشورة امرأة في يوم الحديبية فرسول الهدى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستشير زوجته في قرار سياسي غاية في الأهمية ثم يأخذ بعد ذلك بمشورتها.

وكذلك حينما كانت زينب بنت أم سلمة طفلة رضيعاً لا تفارق أمها ساعة من ليل أو نهار، فإذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدها مع أمها أخذ يداعبها ويلاعبها ثم يخرج ليبيت في بيت آخر من بيوته. ورأى عمار بن ياسر ذلك فقال: هذه الشقراء تمنع رسول الله حاجته، وأخذها من أمها ليسترضعها في قباء، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد زينب فسأل عنها قائلاً: (أين زُناب؟) وعندما عرف بإسترضاعها في قباء قال لأم سلمة: (إني آتيكم الليلة). وبنى بأهله هذه الليلة، حتى إذا كان الصباح وأراد الخروج قال لأم سلمة: (ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبعت عندك، وسبعت لنسائي، وإن شئت ثلثت ودُرْتُ). فقالت له على الفور: يا رسول الله، افعل ما أحببت[69]

وهكذا يتبين لنا أن التشاور بين الزوجين مبدأ إسلامي أصيل هدفه الوصول إلى الرضا النفسي والشعور بالاستقرار والمعايشة الوجدانية وتقارب الأفكار، وصولاً إلى ترسيخ مفهوم الشورى عند الأبناء.

بمعنى أن يكون التشاور وتداول الرأي قائماً بين الزوجين فيما يتعلق بشئون البيت، وتدبير أمر الأسرة، ومصير الأولاد، وليس من الحكمة في شيء أن يستبد الرجل برأيه ولا يلتفت إلى مشورة امرأته، لا لشيء، إلا لأنها امرأة، ومشورتها قدح لقوامته عليها في نظره السقيم. فكم من امرأة أدلت برأي صار له أكبر الأثر في استقامة أمور وصلاح الأحوال، وخير من يقتدى به في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وان خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأم سلمة كانت قائمة على التشاور بينهما لمعرفة حقيقة الأمر وقد أفصحت هي عن غيرتها وعن أمور أخرى متعلقة بحياتها، فهذا دليل على قوة شخصيتها ورجاحة عقلها التي أظهرتها في مشاورتها في فتح مكة وفي شوال من السنة الرابعة للهجرة انقضت عِدّة أم سلمة، .... ، تقول: أرسل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: مرحباً برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله أني فيّ خلال، لا ينبغي لي أن أتزوج رسول الله، وهي: أني امرأة مُصْبِيَةٌ – أي ذات أولاد صبية –، وأني غَيْرَى، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً. فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما قولك: إني مُصْبِيَةٌ فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غَيْرَى، فسأدعو الله أن يُذْهِب عنك غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني.[70]

فإن الإسلام لا ينظر للزواج باعتباره ارتباطاً بين جنسين فحسب، وإنما يعتبره علاقة متينة وشراكة وثيقة لا تنفصم عراها تجمع بين متعاقدين لبناء أسرة متماسكة تربطها روابط الرحم، ومن ثم فقد أكد أن قوامها الوداد والتراحم والتعايش.

لذلك حينما عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الزواج من أم سلمة رضي الله عنها لم ترفض لكنها كانت حصيفة وذات عقل كبير لذلك وضحت لرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأمور المتعلقة بها لتحقيق السعادة الزوجية والحياتية الهانئة فذكرت أبناءها ورعايتها لهم، وغيرتها، وأن لا شاهد عندها، فكانت نعم الزوجة الحصيفة.

- **رابعاً**: الدعاء بين الزوجين من الامور المهمة لأن هناك أمور، لا تصلح ولا تستقيم بها الحياة الزوجية، إلا بالالتجاء والطلب من الله تعالى والاستعانة به سبحانه وتعالى، بأن يطلبَ الداعي ما ينفعُه وما يكشف ضُرَّه؛ وحقيقته إظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلة لله تعالى، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه. و الدعاء هو نهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد غفل بعض الازواج عن الدعاء في هذا الجانب، أو الجهل ببعض أحكامه، كحكم الدعاء بالهداية للزوجة والأبناء، قال تعالى ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا**﴾ (الفرقان: 74)، يقول ربنا سبحانه ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾(الروم:21). فسبحان من جعل قوام الحياة، هذه العلاقة المتينة بين الرجل والمرأة، فكلاهما يألف الآخر ويسكن إليه، ويجد في كنفه الاستقرار والأنس والاطمئنان، وجعل بينهما مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فالزواج رباط وثيق يجمع بين الرجل والمرأة، وتتحقق به السعادة، وتقر به الأعين، إذا روعيت فيه الأحكام الشرعية والآداب الإسلامية .

والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدْعُ بإثم أو قطيعة رحم**) فقال رجل من القوم: إذاً نكثر! قال: (**الله أكثر**) [71]

وإن الغيرة المباحة للمرأة شرعًا من شيم النفوس الكريمة، فالمسلم يحب زوجته، ويتمنى لها الخير والصلاح، ويكره لها الفحش والمجون، وكل ما يهون من رفعتها ومقدارها عنده، فغيرة الزوج على زوجته من الإيمان، وبها تسعد وتفخر كل زوجة مسلمة، قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرَّم الله**)[72].

يروي أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بِصَحْفَةٍ فيها طعام، فضربت التي كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم. فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: (غارَتْ أُمكم)، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه[73]

والغيرة المعتدلة للمرأة تحفظ العلاقة الزوجية، وتوفر السعادة، وتقضي على كثير من المشكلات، أما إذا اشتدتْ الغيرة (وهي الغيرة في غير ريبة)، فأصبح كل من الزوجين يشك في الآخر، ويتمنى أن يكون شرطيًّا على رفيقه، يراقبه في كل أعماله، ويسأله عن كل صغيرة وكبيرة، فهذا مما يوجد أسباب الخلاف، فتكون الغيرة مدخلاً للشيطان بين الزوجين، وربما أحدثت الفرقة من هذه السبيل، ومن الغيرة الطبيعية ما حصل لأمنا أم سلمة رضي الله عنها فها هي تقول: قال: (أمَّا ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك)، والغيرة لها حد مقبول، وبوضعها المعتدل ضرورية جداً، فإذا شعر الزوج أن زوجته تغار عليه، وتحرص على أن يكون لها وحدها، وتحرص على رضاه ، فهذه صفة ضرورية أودعها الله في النساء، لكن كل صفة أودعها الله في النساء والرجال لها حد طبيعي .

الغيرة في أحجامها الطبيعية ضرورية، لكن أحياناً تتفاقم عند امرأة ما، وتزيد عن حدها المعقول، فتنقلب إلى مرض، فامرأة التي تشك في زوجها الذي هو في أعلى درجات الاستقامة، هي مريضة إذاً، تغار عليه أن يتصل بالهاتف، تغار عليه أن يتأخر بالمجيء إلى البيت، تظن به الظنون، هذه امرأة تحتاج إلى معالجة.

والنبي عليه الصلاة والسلام، قال: أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأمّا ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم سلمة رضي الله عنها.

◄ **للإجابة عن التساؤل الفرعي الثالث والذي ينص على (ما المواقف التربوية من حياة أم سلمة مع قريبتها)؟**

♦ **أولا**: فمن السنن الإلهية وقوع المشاكل الزوجية في البيت المسلم، حتى بيت النبوة لم يسلم من ذلك لحكم ربانية ، ولكن الله عز وجل وضع منهجاً رائعاً في التعامل مع المشاكل والخلافات بين الزوجين ، يتمثل في قوله تعالى : ﴿**واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً**﴾(النساء :34)

إن على الزوجين التواصي دائماً بما فيه صالح حياتهما الزوجية، ومن ذلك التواصي فمن السنة الإلهية حفظ أسرارهما العائلية، وعدم نقلها خارج عش الزوجية؛ لأن حفظ أسرار البيت من أهم عوامل نجاح الحياة الزوجية واستمرارها، إذا ترك الزوجان المشكلات التي تواجههما دون اتفاق على منهج محدد للتغلب عليها، فقد تعصف أمواج هذه المشكلات بحياتهما.

وما حدث منها حينما تعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للتدخل بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وزوجاته عند حدوث سوء التفاهم بينهن وبينه، فقد صدّت أم سلمة رضي الله عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في معاملته للنساء، حينما جاءها ليخاطبها في أمر مراجعة نساء النبي صلى الله عليه وسلم لزوجهن، فقد علم عمر رضي الله عنه من زوجته أن ابنته حفصة تراجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان، فقصد من فوره إلى حفصة فسألها عن ذلك، فلما أجابته بأنه حق، قال لها لائماً محذراً زاجراً: تعلَمينَ أنِّي أحَذِّرُكِ عقوبَةَ الله، وغَضَبَ رسوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يا بُنَيَّةُ لا تَغُرَّنَّكِ هذه التي أَعْجَبَهَا حسْنُهَا حُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ إياهَا، يريدُ عائشَةَ رضي الله عنها ، قالَ: (ثمَّ خرجْتُ حتى دخَلْتُ على أمِّ سلمَةَ لقَرَابَتي منهَا فكَلَّمْتُهَا، فقالتْ أمُّ سَلَمَةَ: عجبًا لكَ يا ابنَ الخطابِ، دخَلْتَ في كلِّ شيءٍ، حتى تَبْتَغِي أنْ تدخُلَ بينَ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ وأزوَاجِه، فأَخَذَتْني والله أخذًا كَسَرَتْني عن بعضِ ما كنتُ أجِدُ، فخرجْتُ من عَنْدِهَا)[74]

وما حدث منها أيضاً لعمر وأبي بكر رضي الله عنهما عندما غضب النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه لمطالبتهن إياه بما لا يملك لهن من نفقة، ونهى عمر ابنته حفصة، ونهى أبو بكر رضي الله عنه ابنته عائشة عن أن يطالبا النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس عنده، ثم سارا بمثل هذه النصيحة إلى سائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أتيا أم سلمة يذكران لها ما ذكر لضرائرها لم تقبل منهما تدخلهما بين الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته، فقالت لهما: ما لكما ولما ها هنا! رسول الله أعلى بأمرنا عيناً، ولو أراد أن ينهانا لنهانا، فمن نسأل إن لم نسأل رسول الله؟ فكان أن تركاها وانصرفا، وكان أن حمدت لها زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ما قالت لعمر وأبي بكر، وقلن لها: جزاك الله خيراً حين فعلت ما فعلت، ما قدرنا أن نرد عليهما شيئاً. فكذلك كانت أم سلمة رضي الله عنها شخصية قوية حازمة عاقلة[75]

والعديد من الأسر في مجتمعاتنا، تعطي نفسها الحق في التدخل في حياة أبنائهم وبناتهم، حتى وإن لم يطلبن ذلك، دون تقدير منهم لرؤية الفتيات التي تمنع استباحة خصوصية حياتها الزوجية، ونظراً لأن فتيات اليوم ناضجات بعلمهن وثقافتهن قادرات –في أغلب الأحوال–على الإمساك بزمام الأمور ومعالجتها.

وإن أغلب تدخلات الأهل تكون بعيدة عن مصلحة بقاء الزوجين واستمرارية علاقتهما، كونها تأتي مصعدة للخلاف وتضخمه بشكل كبير، لا سيما وهم لم يستمعوا إلا لطرف واحد بعض الأحيان.

وإذا كان من حقهم أن يتفقدوا أحول أبنائهم، ويطمئنوا على أحوالها فلا بد أن يكون ذلك في حدود المعروف، وبما يحقق لها مصالح الدين والدنيا، ويعين على دوام الألفة بين الزوجين ، أما أن ينصبوا أنفسهم أوصياء على الزوجة، يرسمون لها حياتها وفق ما يريدون، متجاهلين بذلك حق زوجها في القوامة، وحق الزوجين في حياة مستقلة، فإن ذلك من مساوئ الطباع ومذموم الأخلاق، وهو دليل على ضعف العقل وغياب الحكمة، فإذا أضيف إلى ذلك تخبيب الزوجة على زوجها وتحريضها على طلب الطلاق منه، فإن ذلك ظلم واضح وفساد ظاهر وإثم مبين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده).[76]

● **ثانيا**: استشارة ذوي العقول وأهل الاختصاص إن التشاور مع ذوي الشأن وأرباب الحجى عامل مهمّ في كل ما يحدث من خلاف بين الزوجين، ذلك أن غيرك يعرف من الحلول ما لا تعرفه، وقد يكون ممن وقع في حَدَث مماثل فَوُفِّق للحل المناسب. وعادة ما يصاب المرء حين المشكلة بضيق في الرأي، وتعكير على صفو التفكير، يحتاج معه إلى الاستناد إلى آراء الآخرين، للخلاص مما هو واقع فيه.

في حديث (كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس: أن يهدوا إليه حيث كان، أو حيث دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها)[77]

ففي هذا الحديث منقبة كبيرة وعظيمة، حظيت بها أم سلمة رضي الله عنها عند قريناتها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا رجاحة عقلها ومكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخترنها زوجاته صلى الله عليه وسلم أن تكون سفيرتهن في تحقيق بغيتهن.

● **ثالثا**: الزوجة الصالحة خير متاع الدنيا، فأسعد المؤمنين من كانت زوجته على طريقته، فعليه أن يجتهد في ترسيخ الإيمان في قلبها، قال تعالى: ﴿**وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾(الأنبياء: 89 ـ 90) وقوله تعالى: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾(النور، 23) فمن سعادة المرء في الدنيا أن تكون زوجته صالحة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**)[78] وفي الحديث الآخر عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**)[79]فكانت أم سلمة رضي الله عنها مثال الزوجة الصالحة من خلال مواقفها التربوية العديدة والمتنوعة مع زوجها ابي سلمة رضي الله عنه، ومن ثم مع زوجها الرسول صلى الله عليه، ومن ثم مع قريناتها التي ظهرت فيها رجاحة عقلها، ومكانتها البارزة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وعند قريناتها .

وأصلحنا له زوجه، فالمسلم إن لم يكن متزوجاً، عليه بذات الدين، وإن كان متزوجاً عليه بإصلاح زوجته، بالإحسان تارة، بالتوعية تارة، بالتعليم تارة، بالتكريم تارة، بوسائل كثيرة جداً يراها الزوج مناسبة،

تتمثل نتائج البحث في النقاط التالية:

1. إن الوظيفة المثلى للزوجة الصالحة رعاية البيت في ظل الطاعة الزوجية التي تعتبر من جهاد الحياة، وهذا ما كانت عليه امهات المؤمنين عامة وأم سلمة رضي الله عنها خاصة.

2. إن الأسرة التي تبني حياتها على الاستشارة وتوضيح الامور، وتجعل الكتاب والسنة نبراساً لحياتها، لهي جديرة بالبقاء والهناء والسعادة قال تعالى(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) (طه : 123).وهذا كان من هدى أمهات المؤمنين عامة وأم سلمة رضي الله عنها خاصة .

3. تميزت شخصية أمهات المؤمنين عامة وأم سلمة رضي الله عنها خاصة برجاحة العقل والصبر والتحمل وميزان الامور بميزان الشرع.

4. أما التوصيات فبناء على جملة النتائج السابقة يوصي البحث ب :

5. ان معرفة حقوق الزوجة مالها وما عليها يكون بدراسة متفحصة لسيرة امهات المؤمنين.

6. القيام بمناشط دعوية تثقيفية للتعريف بخدمة الزوج وحفظ بيت الزوجية من خلال سيرة امهات المؤمنين والوقوف على التفصيل الدقيقة في حياة كل واحدة منهن.

7. اعتماد إدخال الرعاية الأسرية من خلال السيرة النبوية في مراحل الثانوية والتعليم العالي .

8. إنشاء مجلات علمية محكمة متخصصة فيما يتعلق بالمرأة في الإسلام من خلال السيرة النبوية.

9. وضع تصور شرعي لقضايا المرأة خاصة القضايا التي كثر فيها الجدال والاختلاف ومالت إلى طريق الجور من خلال العرف السائد والعادات الجامدة للمجتمع والتي لا يعترف بها الشرع من قريب أو بعيد.

10. الاهتمام بالإعلام المحلى بكل أنواعه المرئي والمسموع على حد سواء، ومحاولة تقديم الدعم اللازم له بسبب خطورته في طرح قضايا المرأة العصرية والمتجددة.

والله أسأل أن يتجاوز عن الخطأ وأن يوفق للصواب فهو الهادي إلى سواء الصراط؛ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

1. الزحيلي، وهبة، 1430هـ، التفسير الوسيط ، دمشق: دار الفكر،ط3 . ص2056 .

2. عبد الكريم، ألفت، 1429هـ، في منزل الرسول صلى الله عليه وسلم. مصر، الجيزة، دار الفاروق ،ص6.

3. الجهني، أحمد ، 1431هـ ، اللآلئ البهية في سيرة زوجات حبيبنا خير البرية صلى الله عليه وسلم. جدة، ص356

4. مرجع سابق، الجهني، ص 356.

5. العساف، صالح بن حمد، 1416هـ ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، مكتبة العبيكان ، الرياض،ص243 .

6. مرجع سابق ، 132ص .

7. الحربي، سلطان بن مسفر، 1432هـ ، المضامين التربوية للعلاقة الزوجية من خلال كتاب النكاح من صحيح البخاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، السعودية

8. الأنصاري، عنبر، 1428هـ ، تطبيقات لشمائل تربوية من شخصية السيدة عائشة رضي الله عنها على المرأة المسلمة المعاصرة ، رسالة الدكتوراه ، غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .

9. يماني ، تهاني ، 1429هـ، مضامين تربوية مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وتطبيقاتها في الاسرة و المدرسة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة

10. الجزري، علي محمد ،1415هـ ،الكامل في التاريخ، 1994تحقيق محمد يوسف الدقاق ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج7، ص278.

11. الهاشمي ، عبد المنعم ، 1424هـ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ،دار ابن الحزم للنشر والطباعة . ص 316.

12. كناس ، راجي حسن ، 1428هـ ، أزواج الانبياء ، ص277

13. شاهين والرفاعي،، اصلاح عبدالسلام ، عبدالصبور، 1413 هـ ، صحابيات حول الرسول صلى الله عليه و سلم : مهاجرات و انصاريات روايات ، ص130.

14. مرجع سابق ، الهاشمي، ص331.

15. أبي داود، 1430هـ، سنن أبي داود ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت . رقم الحديث: 4953، ص911.

16. مرجع سابق ، الهاشمي ص332.

17. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، 1387هـ تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار التراث، بيروت ط2 ، ص109.

18. مرجع سابق ، الهاشمي ص 318.

19. مرجع سابق ، الهاشمي، ص319.

20. مرجع سابق ، الهاشمي، ص325 .

21. الأندلسي ، أبي عبدالله بن الازرق ، 1977م، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامر النشار ، الناشر وزارة الاعلام ،ط1 ، ص77 .

22. بن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، 1414 هـ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ،ج2 ، ص134 .

23. البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ،1401هـ ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، لبنان ، كتاب الفتن الباب، ج13 ، رقمه 5 .

24. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، 1415هـ ، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1 ، ص98 .

25. المرجع السابق ، الجصاص ، ج10 ، ص89.

26. مرجع سابق، البخاري ، باب الطاعة ، ج5 ، رقمه342.

27. الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره ، 1403هـ ، في سننه الجامع الصحيح ، ، ط2 ، دار الفكر ، لبنان ، رقمه352 .

28. مرجع سابق، البخاري، ج6 ، رقمه4899

29. الألباني، محمد ناصر الدين ،1409هـ ، آداب الزفاف في السنة المطهرة الناشر: المكتبة الإسلامية الأردن ، ط1 ، ص 282.

30. مرجع سابق ، الترمذي ، رقمه367 .

31. القرطبي ، أبو عبدالله محمد الأنصاري ،1408هـ ، الجامع لأحكام القران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج5 ،68 .

32. الفارسي، علاء الدين ، د . ت، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، كتاب النكاح باب معاشر الزوجين ،ط1 ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، رقم4163.

33. مرجع سابق، الترمذي ،ج3 ، رقمه1159 .

34. ابن هشام ، عبد السلام هارون ، 1405هـ ، السيرة النبوية لابن هشام ، الطبعة العاشرة ، دار البحوث العلمية ، بيروت ، ج2، ص250.

35. الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، 1428 هـ ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر دار السلام ، القاهرة ، ص292.

36. مرجع سابق، شاهين والرفاعي، ص136.

37. بن مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ،1404هـ ، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، رقم الحديث:217

38. النووي ، أبو زكريا يحي شرف ،1392هـ ، شرح النووي لصحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،15رقمه 587 .

39. مرجع سابق، ابو داود ، ج5 ،ص231

40. النسائي، أبو عبدالرحمن، 1384هـ ، سنن النسائي ، ، دار الفكر بيروت ، ط1 ، ج8 ، ص239 .

41. مرجع سابق ، البخاري 29 ، 1052

42. مرجع سابق، الهاشمي، ص347

43. الأندلسي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب، 1404هـ ، العقد الفريد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1 ، ج6 ، ص92 .

44. مرجع سابق، شاهين والرفاعي، ص137.

45. الذهبي، الحافظ، 1402 هـ ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2، ج2 ، ص205.

46. مرجع سابق ، البخاري ، ج9 ، ص241 .

47. إبن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط15 ، ص188.

48. المناوي، عبد الرؤوف ، 1356هـ ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1 ،ج5، ص38 .

49. الحارثي وآخرون ، عايض بن فدوغوش بن جزاء، 2010م ، اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية الفقهية ،الناشر: كنوز إشبيليا ، ص545.

50. مرجع سابق، البخاري، ج6 ، ص189 .

51. مرجع سابق، القرطبي 5، ج5 ، ص170 .

52. مرجع سابق، البخاري، ج1 ، ص229 .

53. مرجع سابق ، البخاري ، ج1 ، ص368 .

54. مرجع سابق ، البخاري ، ج1 ، ص368 ..

55. ملك، بدر محمد،1424هـ، التوجيه الثواب أم العقاب، سلسلة تربية الأبناء الرابعة، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت

56. مرجع سابق ، زاد المعاد ، ج5 ، ص438 .

57. إبراهيم ، حافظ ، 1388هـ ، ديوان ، دار العودة ، ج1 ، ص282 .

58. مرجع سابق ، مسلم، رقمه 1001، ص352.
59. مرجع سابق ، الهاشمي، ص347
60. مرجع سابق ، البخاري ، ج 3 ، ص283 .
61. البخاري ، محمد بن إسماعيل ،1397 هـ، الأدب المفرد ، عالم الكتب ، ط2، بيروت ، ص32 ، 24
62. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ، د ، ت، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، في كتاب النكاح ، باب الخطبة ، دار المعرفة ، بيروت ،رقمه 5376 ، ج 9 .
63. ابن حميد وابن ملوح، صالح و عبد الرحمن، 1420هـ، موسوعة نظرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة جدة السعودية، ط2 ،ج6، ص2440.
64. مرجع سابق، الهاشمي، 2004م، ص343.
65. مرجع سابق، البخاري، رقمه 2731، ص478.
66. مرجع سابق، الهاشمي، ص345.
67. أبي داود، 1430هـ، سنن أبي داود ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت .رقمه 5128، ص939.
68. مرجع سابق، البخاري، ج1، رقمه 213 .
69. مرجع سابق، شاهين والرفاعي، ص137.
70. مرجع سابق، الهاشمي، ص347
71. مرجع سابق، الترمذي، 214.
72. مرجع سابق، صحيح البخاري، رقمه 4925.
73. مرجع سابق، صحيح البخاري، 9، 320
74. مرجع سابق، البخاري، رقمه4913 ص897.
75. مرجع سابق، الهاشمي، ص340.
76. مرجع سابق، سنن ابن داود ، رقمه 328، ص219.
77. مرجع سابق، البخاري، باب فضائل الصحابة، ج4 .
78. مرجع سابق، الإمام مسلم، رقمه 538
79. مرجع سابق، الإمام مسلم، رقمه 231.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، حافظ ، 1388هـ ، ديوان ، دار العودة ، ج1 ، ص282 .
2. ابن حميد وابن ملوح، صالح و عبد الرحمن، 1420هـ، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة جدة السعودية، ط2 ،ج6، ص2440.
3. ابن هشام، عبد السلام هارون، 1405هـ ، السيرة النبوية لابن هشام ، الطبعة العاشرة ، دار البحوث العلمية ، بيروت ، ج2، ص250.
4. أبو داود، 1430هـ، سنن أبي داود، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت .رقمه 5128، ص939.
5. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، 1428 هـ ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر دار السلام ، القاهرة ، ص292.
6. الألباني ، محمد ناصر الدين ،1409هـ ، آداب الزفاف في السنة المطهرة الناشر المكتبة الإسلامية – الأردن ، ط1 ، ص 282.
7. الأندلسي، ابي عبدالله بن الأزرق ،1397هـ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامر النشار ، الناشر وزارة الاعلام ،ط1، ص77 .
8. الأندلسي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب، 1404هـ ، العقد الفريد ، الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1، ج6 ، ص92 .
9. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ،1401هـ ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، لبنان ، كتاب الفتن الباب، ج13 ، رقمه 5 .
10. البخاري ، محمد بن إسماعيل ،1397 هـ، الأدب المفرد ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ص32 ، 24 .
11. النسائي، أبو عبدالرحمن، 1384هـ ، سنن النسائي ، دار الفكر بيروت ، ط1، ج8 ، ص239 .
12. ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، 1414 هـ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ،ج2 ، ص134.
13. ابن مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ،1404هـ ، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
14. الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره ، 1403هـ ، في سننه الجامع الصحيح ، ، ط2 ، دار الفكر ، لبنان ، رقمه352 .
15. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، 1415هـ ، أحكام القرآن ، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص98 .
16. الجهني، أحمد، 1431هـ، اللآلئ البهية في سيرة زوجات حبيبنا خير البرية صلى الله عليه وسلم. جدة ، ص320.
17. الحارثي وآخرون ، عايض بن فدوغوش بن جزاء، 1431هـ، اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية الفقهية
18. الدسوقي، محمد، من قضايا الأسرة في التشريع الإسلامي للدكتور، دار الثقافة - قطر ، ص 89 .
19. الذهبي، الحافظ، 1402 هـ ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2، ج2 ، ص205.
20. الزحيلي، وهبة، 1430هـ، التفسير الوسيط ، دمشق: دار الفكر،ط3 . ص2056
21. شاهين والرفاعي، إصلاح عبدالسلام، عبدالصبور، 1413 هـ ، صحابيات حول الرسول صلى الله عليه و سلم ، مهاجرات و انصاريات روايات ، ص136.
22. عبد الكريم، ألفت، 1429هـ، في منزل الرسول صلى الله عليه وسلم. مصر، الجيزة، دار الفاروق، ص6 .
23. العساف، صالح بن حمد، 1416هـ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ص243 .
24. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، د، ت، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، في كتاب النكاح، باب الخطبة ، دار المعرفة ، بيروت ،رقمه 5376 ، ج 9 .
25. الفارسي، علاء الدين، د. ت، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ط1، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، كتاب

النكاح باب معاشر الزوجين حديث رقم 4163.

26. القرطبي، أبو عبدالله محمد الأنصاري ،1408هـ، الجامع لأحكام القران، دار الكتب العلمية، بيروت ،ج5 ،ص68

27. لإبن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط15 ، ص188.

28. ملك، بدر محمد، 1424هـ، التوجيه الثواب أم العقاب، سلسلة تربية الأبناء الرابعة، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت

29. المناوي، عبد الرؤوف، 1356هـ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1 ،ج5، ص38 .

30. النووي، أبو زكريا يحي شرف ،1392هـ، شرح النووي لصحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت .

31. الهاشمي، عبد المنعم، 1424هـ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، دار ابن الحزم للنشر والطباعة، ص 318.

32. الهاشمي، محمد، د .ت ، شخصية المرأة المسلمة محمد الهاشمي ص64 .